

# المرجعية البدوية في مجموعة (خربشات سعيد بن هداالج) للقاص فارس الغلب

د. أحمد جارالله ياسين\*

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث مجموعة (خربشات سعيد بن هداالج) للقاص الموصللي فارس الغلب ، وذلك من خلال الاشتغال النقدي على محور المرجعية البدوية في القصص ،والذي تأسست عليه مرتكزات البنية الفنية لقصص المجموعة ، وتمظهر من خلال عدة علامات منها ماله علاقة بالشخصية ، أو المكان ووصفه ،أو اللغة القصصية ،فضلا عن القيم الفكرية والدلالية فيها ،وبهذه السمات كرس القاص لنموذجه القصصي ملامح فنية تميزه من غيره من جيل كتاب القصة القصيرة المعاصرين في الموصل ،واستقطب بذلك أيضا مرصدنا النقدي لانجاز هذا البحث.

**The bedouin reference in the collection of ( kharbashat Saeed bin Hadalige) by the storywriter Fares Al-Gahlab**

-Abstract-

This research deals with the short story collection (kharbashat Saeed bin Hadalige) by Fares Al-Gahlab. And this study will be throughout a critical reading of the issue of Bedouin reference on which the technical structure of the short story is baset which clearly appeared throughout many marks. some of those marks are related to the character ,to the place described or to the fictional language as well as its intellectual and semantic values . By these features the storywriter , Fares AL-Ghalab, has excelled with the development of his fiction blend by which he is distinguished from the other storywriters of the contemporary generation in mosul..

\* أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية / كلية الآداب .

دراسات موصلية – العدد الحادي والعشرون – رجب ١٤٢٩هـ/ آب ٢٠٠٨م

## توطئة :

إن التقسيم السوسيري للعلامة اللغوية ينهض على الربط بين عنصرين هما الدال (الصورة الصوتية أو الكتابية) والمدلول (الفكرة أو الصورة الذهنية المفهومية عن الشيء) ، وهما عنصران ذوا طبيعة نفسية ، يندمجان في دماغ الإنسان بأصرة التداعي (الإيحاء) الذي ينبعث من أثر الدال على حواسنا ، ومن هنا ، نفهم أن العلامة اللغوية تربط بين الدال والمدلول وليس بين الشيء (المرجع) والتسمية<sup>(١)</sup> .

وإن أية إحالة مرجعية في النص القصصي عبر دواله إلى ما هو خارج النص من أشياء لا تعني صورة هذه الأشياء الأصلية كما هي في الواقع ، وإنما هي صورة ذهنية متخيلة عنها شكلتها رؤيا القاص قد تكون مطابقة للمرجع إلى حد كبير وقد تكون منزاحة عنها إلى درجة عالية تشكك المتلقي في صلتها بالمرجع الأصلي إن لم تكن أحيانا تلغي أثره تماما في تشكيل تلك الصورة الأدبية عنه ، ومن هنا فإن بحثنا عن المرجعية البدوية\* في مجموعة (خربشات سعيد بن هدالج) للقاص الموصلي فارس الغلب\* ، هو من أجل الكشف عن مدى التحولات الأدبية ودرجاتها التي طرأت على تلك المرجعية بعد إعادة تشكيلها في البنية القصصية ، والمتمثلة -التحولات - في عدد من المظاهر الفنية و لاسيما في لغته، ووصفه، وتصويره، وبنائه للشخصيات، وتوظيفه للقيم المضمونية المنتقاة من تلك البيئة ، وهذه المظاهر كلها بمثابة علامات لا يمكن أن تكتمل قراءتها نقديا من دون البحث عن مرجعياتها. لأنه ((لا يمكن تحديد محتوى هذه العلامات إلا بمساعدة تلك الأشياء التي تشكل مرجعاً لها ، بمعنى أن تلك العلامات اللغوية لا يمكن أن تكون ذات قيمة دلالية في حد ذاتها ، وإنما تكتسب تلك القيمة حينما يمكن أن تحول أو ترجع نحو شيء ما))<sup>(٢)</sup> .

صدرت هذه المجموعة عام ٢٠٠٣، واحتوت اثنتي عشرة قصة قصيرة ، وتتخذ معظم هذه القصص من البيئة البدوية فضاء مرجعيا لإعادة تشكيل وقائعها وعناصرها الفنية ، ولعل أحد أهم أسباب اهتمام القاص بشخصية البدوي كونه (يمثل الصورة المثالية للإنسان العربي في قيمه الخلقية والخلفية ، كما تمثل حياته بمختلف أبعادها الاجتماعية

والنفسية والفكرية واللغوية.... الخ الخميرة الأولى والتربة الأساس التي انبتت منها شجرة الحضارة العربية وتناقلت من خلالها بنية الإنسان العربي على مر العصور (٣).

والدلالة المعجمية لمفردة (خربشات) تعني الإفساد الذي يجري على عمل ما (٤) وبمعنى آخر ذي صلة بهذه المجموعة، فإن الخريشة فعل استنزائي مشاكس يمارسه بطل القصة الأخيرة المسماة باسمه (خربشات سعيد بن هدايج) (٥) بعد أن أضيفت إليه تهمة (الخربشات) .

### التركيب المزوج للشخصية البدوية :

يرسم القاص صورة الشخصية البدوية بطريقة مركبة مزدوجة من ملامح شخصيتين الأولى لسعيد بن هدايج البدوي المنغلق على بداوته والذي -في الوقت نفسه - يمثل قناعاً للشخصية الثانية المتمثلة بالقاص فارس الغلب ذي الأصول البدوية لكنها المنفتحة في آن واحد على الحضارة المدنية الحديثة، الشرقية والغربية وبوعي عميق مدرك لما يعتمل بين الطرفين (البداوة والمدنية) من تناقضات وصراعات .

إن شخصية سعيد تجد في كل ما يأتي من الغرب وعالم التحضر خطراً يهدد أصالة هويتها الثقافية العربية واستقلالها، ربما لأن التحضر بالنسبة للبدوي -قد ارتبط، أو أمكن له الارتباط بفقدان الاستقلالية وبالخضوع للآخرين (٦)، ولذلك يقرر سعيد خريشة (إفساد) ذلك القادم الجديد ومقاومته بالسخرية منه والاستهزاء به، ويكثر من قيمه وبمصطلحاته النقدية والأدبية وطرائق تعامله مع الرموز العربية، يقول سعيد بن هدايج: ( ما دخل الغرب بحكايانا ..مدارس أدبية ..نقاد درسوا اقليم التندرا ..تشمخ بوسترات صبار الساجورا على جدران مكاتبهم .. يأكلون ويشربون ويلبسون ويضطجعون في مخادع زوجاتهم بذائقة الغرب .. يضعون الزلاجات على منحدرات الاولمب .. لا يجيدون ركوب الخيل ..) (٧) . ثم يضيف على لسانهم أيضاً قائلاً بنبرة ساخرة : (الجمل إرهابي لأنه لا يخرق قوانين التحمل .. الثريد لأنه لا يحضر بحسب وصفات مطابخ الغرب ..) (٨) .

ومن أجل تشخيص أدق لشخصية البدوي (سعيد بن هدايج) وموقفه الحاد من الغرب يلجأ القاص الى تصوير الأفعال ووصفها . وهي واحدة من أفضل وانجح الطرائق

لكشف الشخصية وعوالمها الباطنية الدالة على نفسيّتها وتركيبها العقلي والعاطفي ،فالأحداث الخارجية وردود أفعال الشخصية تجاهها تكشف البنية الداخلية للشخصية<sup>(٩)</sup>.

فسعيد بن هدايج لايتراجع عن حرق حاجيات من لايمانع في الاتصال مع الثقافة الغربية كما فعل مع الكتب الغربية لأبي محمد ،وهي الكنية الحقيقية للقاص فارس الغلب المتخفي وراء قناع سعيد بن هدايج الذي يمثل الوجه الآخر من شخصيته ذات الأصول البدوية :

( تبا لك أيها الجاحد تتكلم عن أبناء جلدتك بهذا السوء .. سأحرق كتبك الأعجمية كلها .. لاتحاول منعي .. تراجع وإلا قطعت رأسك بسيفي هذا .. أنت أكثر من يعرف حكاية هذا السيف ..أكثر من يدرك سطوته في إمالة الرؤوس الباغية عن أجسادها )<sup>(١٠)</sup>.

أو كما يفعل مع سيارة الفتى حمدان الذي يقلد الغرب باستماعه إلى الأغاني البذيئة بدلا من حذاء الرعاة ( قبل أيام احترقت سيارة ذلك الفتى الأخرق حمدان لأنه أهانه وتعمد فتح جهاز التسجيل عن آخره وإسماعه عند قبره أغنية بذيئة )<sup>(١١)</sup>.

علما أن الحادثة الأولى وقعت في عالم الحلم ، والحادثة الثانية وقعت حين مر الفتى حمدان بسيارته قرب قبر سعيد بن هدايج الذي مايزال يتمتع بتأثير فعال بعد موته ، ربما دلالة على قدراته الخارقة في التأثير بوصفه عربيا ذا فعل ساحر لاينتهي أثره أبدا .

وإذا كان القاص في قصة(خربشات سعيد بن هدايج) يستند إلى مرجعية بدوية إنسانية تتمثل في شخصية (سعيد بن هدايج) لتوجيه انتقاداته اللاذعة للقيم السلبية في الحضارة الغربية فانه في (قصة بلهان)<sup>(١٢)</sup> يستند إلى مرجعية بدوية أيضا لكنها غير إنسانية تتمثل بالجمال (جدعان) ، الذي يتمظهر السرد على لسانه ساخرا من التهميش الذي يتعرض له العربي برمز الجمال في ظل هيمنة رموز الحضارة الغربية عليه : (شكرا لكم حضوركم إلى هذا الهامش المنسي الذي لاينبصم إلا على عيون الأقمار الصناعية وعيوننا نحن أزاهير الرمل ،حراس الصحراء .ها انتم تفتحون أعينكم على الجمال المعجزة ! الجمال الوحيد الذي نطق بعد ناقة صالح ،لتسمعوا منه قصة زميله بلهان بالحرف العربي الجرس ،وبالوجه العربي القسمات ، ترون أمامكم هذا الركाम المتكسد كله من الطرود التي سبقتكم في طرق نياصم الصحراء.... .مختبرات الكيمياء الجينية

..حدائق الحيوان عروض من شركات الانترنت ..وكالات الأنباء العالمية ..كبريات دور النشر ..دزني لاند..اسمعوا من اليانكي إلى السيد الجمل (.....) الذي هو أنا بالطبع نتطلع إلى موافقة فخامتكم على منحنا حقوق تأليف قصة مأساة الجمل المسكين بلهان قريبكم ،ونعد معاليكم بتحقيق أحلامكم في إفراغ جيوب العالم كله من أجل نصب قواعد عسكرية في المنطقة لحمايتكم والمساكين أمثال بلهان وإحلال السلام المنشود في مكاتب الـ (سي أي آي...)(١٣) .

إن شخصية سعيد بن هدالج البدوية الخيالية - وكما قلنا سابقا - تمثل الوجه الآخر لشخصية القاص نفسه فارس الغلب الذي يعتمل في داخلها ذلك التفاعل ،وربما الصراع - إن صح التعبير - بين تشبئه بجذور هويته العربية البدوية الواقعية التي أفصحت عنها إشاريا شخصية سعيد ، وبين شخصية القاص في القصة نفسها التي يبدو - في ظل ازدواجيتها الواعية- أنها لاتمانع في الانفتاح الواعي على الثقافة الغربية للإفادة من قيمتها الإيجابية وذلك مايمثل وجه المدينة في شخصية فارس الغلب.

لكن الحدود الفاصلة بين الشخصيتين (الواقعية والقناع ) لاتبدو حاسمة ودقيقة بوضوح فني إلى درجة كبيرة ، لان الآراء التي يعبر عنها سعيد بن هدالج لاتبدو متناسبة مع طبيعة شخصيته البدوية وطريقة تفكيرها ،لاسيما فيما يخص آراءه الساخرة في الأدب والنقد .

ولانستغرب أن يحصل مثل هذا التداخل بين الشخصيتين أو بتعبير آخر هذا الخرق بين الوجه الأصلي والقناع ، لان سعيدا هو الوجه الآخر لشخصية القاص الواقعية وموقفها الفكري من بعض الآراء الأدبية والنقدية المتأثرة بنحو سلبي متطرف بالثقافة الغربية ،لكن القاص لايريد الإفصاح عن ذلك الموقف بصورة مباشرة ، ولذلك تستر بقناع سعيد بن هدالج الذي يعبر بشجاعته البدوية الصريحة عن الجانب الآخر من آراء القاص وأفكاره الممتزجة بتجربة المدينة.

ولكن ذلك الإفساد (الخربشات ) وبالوسائل التي اشرنا إليها، والذي يمارسه سعيد بن هدالج ضد الثقافة الغربية يعني من وجهة نظره دفاعا مشروعاً عن هويته العربية ، وبمعنى آخر يعني عكس دلالة (الخربشات ) أي أنه يدل على إصلاح استباقي

لهويته العربية قبل تعرضها للتشويه من قبل مؤثرات تلك الثقافة الغربية التي تم فضح سلبيات آرائها تجاه العرب بلسان سعيد بن هدالج البدوي الساخر ، وذلك كله منسجم مع طبيعة شخصيته لأن ( البدوي ) يعتز بفرديته وشخصيته ويرى نفسه مساويا لغيره من الأفراد في الأصل والحقوق والواجبات ، وينفعل إذا حاول أحد مس هذه الفردية أو جرح شعوره بالمساواة ، إلا أن فرديته منسجمة مع الجماعة فهو متماسك مع جماعته ينصر إخوانه ظالمين أو مظلومين ويلبي دعوتهم إذا طلبوا النجدة إذا دهم القبيلة خطر يهددهم<sup>(١٤)</sup> .

### بداوة المعجم القصصي والصورى

بناء على الفهم المعاكس السابق لدلالة (الخربشات) فإن تسليط الضوء من قبل القاص على البيئة البدوية بكل ما فيها من قيم وعادات وتقاليد تراثية يمثل شكلا من أشكال الدفاع عن أصالة تلك الهوية العربية ، ولذلك يختار القاص عنوان القصة الأخيرة (خربشات سعيد بن هدالج ) عنوانا عاما للمجموعة كلها التي كتبت معظم قصصها بلغة تستعير لمعجمها القصصي الكثير من المفردات والمسميات البدوية مثل ( خربشات، جندلة، نبتة الطرطوث، العتاكيل ،الخبرا ،طرق الدوا،ابق، التعالج، المنجنة،قراح ،التمعك، غلس... )، والاسماء مثل: معيوف الهذلول ، مطلق بن الحميدي، ماجد الحثري ،مفوز التجفيف، غشام ،موضي بنت حماد النبهان، كنعان الهزاع ....) .

كما أن القاص يستعين بصور من عالم البادية وسيلة لرسم الكثير من المواقف والحالات المادية والمعنوية ، كما في الأمثلة الآتية:

(اقتادوه كشاة مارقة )<sup>(١٥)</sup> .

(انتقام لاتطيش سهامه )<sup>(١٦)</sup> .

(ولم يفلح إلا بجلب المزيد من الدفاء لثعابين مفوز وأخوته )<sup>(١٧)</sup> .

(نهضت برشاقة ،مثل ظبية تعمم تناسق قوامها )<sup>(١٨)</sup> .

(استدار بخفة كفهد اخطأ الطريدة )<sup>(١٩)</sup> .

(نهض غاضبا كثور هائج)<sup>(٢٠)</sup> .

(تحريراً حيال وجوه طافحة بترقب حيواني) (٢١) .

إن الصور الفنية في هذا النمط من القصص ذات النكهة البدوية – إن صح الوصف – تتشكل من مرجعيات البيئة البدوية التي تدور فيها الأحداث ولذا تبدو منسجمة مع بناء القصة، باستثناء صور معدودة تبدو طارئة وقادمة من الثقافة المدنية المعاصرة للقاص لا من ثقافة الشخوص داخل القصة ، وكما نجد ذلك مثلاً في التشبيه الوارد في المقطع الآتي على لسان راو يسرد حكاية شخوص من البادية : (صعق الصغير كمن أفرعه مرور طائرة تخترق جدار الصوت) (٢٢).

وفي مقطع آخر يبدو العمق الدلالي للغة أكبر من حجم الشخصية وثقافتها البدوية ، كما في الحوار الذي يجري على لسان إحدى فتيات البادية : (يالبؤسها ..أحرى بها الإبحار إلى الداخل واكتشاف خارطة أنوثتها) (٢٣).

### القيم البدوية

أما فيما يخص مرجعية القيم المعالجة في هذه المجموعة فإنها تستند إلى مايمكن أن نسميه بالمظهر المعنوي للبداءة أو البداءة الفكرية ، وتتمثل هذه البداءة في القيم والمعتقدات ونماذج السلوك (٢٤) ، ولذلك فإن قضية كبيرة مثل قضية الشرف وما تتضمنه من قيمة أخلاقية عالية قد أخذت موضع الصدارة في قصص المجموعة لاسيما من خلال عنوان القصة الأولى (البكارة) (٢٥) ، وثمة قيمة أخرى ترتبط بالشرف وهي الغيرة التي تشتعل نيرانها بفعل الشك في الآخر ( المرأة ) التي تستفز البدوي برفضها له لاستنهاض غيرته وشجاعته وفروسيته وهذه القيم الأخيرة هي وحدها الكفيلة بتحويل رفض المرأة الاستفزازي إلى قبول ورضوخ :

(امرأة قالت له : لا ، هي المرأة الحقة ، لاؤها عبادة ، قاموس وعلى الرجل أن يسلك طريقا نسيميا إلى قلبها ، يحتله ، ويحرر ال (نعم) بصفاء المحاولة) (٢٦) وهذه هي معايير المرأة المثالية في البادية .

قصة (السد المباح) (٢٧) يشتغل عنوانها على هذا التحريف الشعري لكلمة (السد) التي يكتشف القارئ بعد قراءة القصة أنها تعني (السر) ، لكن جزءا من آليات كتمانها المتعارف عليها في البيئة البدوية يفرض تحريفه إلى كلمة (السد) التي تشير ضمناً أيضا

إلى ضرورة اكتساب هذا السر الحصانة والمناعة التي تحول دون فضحه وفك مغاليقه الدلالية : (فالفثيات دأبن على معاضدة بعضهن بعضا بسرية قصوى ، وبدون تحفظ ، وحتى العذل لايتداول خارج دائرتهن المغلقة ، ولأجل ذلك اصطلحن على كلمة (السد) بدلا من كلمة (السر) ، ربما تعني اللفظة السد المنيع الذي يحول دون مجرى الحكاية ، أو السد بمعنى الإحكام والإغلاق)<sup>(٢٨)</sup>. فالفتاة في مثل هذه البيئة على الرغم من إحساسها الحاد بالعاطفة والحب الدفين تجاه من تحب إلا أنها تبقى حريصة جدا على إضفاء جو السرية التامة في ترجمة مشاعرها تلك إلى واقع عملي أن سنحت لها فرصة الحب والتواصل مع الآخر<sup>(٢٩)</sup>.

فالقصة تريد توصيل قيم كثيرة عبر هذا العنوان الإشكالي ، فضلا عن توظيف متن القصة لهذا الغرض أيضا . فالبيئة البدوية وتقاليد الصارمة تعرقل التواصل العاطفي - في الأقل - ظاهريا بين الرجل والمرأة إن كان هذا التواصل يقع خارج مؤسسة الزواج ، ولذلك يتم الاحتيايل على هذه التقاليد بالاتفاق على موعد سري بين الطرفين تسهم في وضع خطته إحدى النساء المقربات من الحبيبة. والبئر في القصة فضاء رمزي للإيحاء بعالم البادية وتقاليد العميقة الراسخة التي تتحول إلى فخ يسقط فيه من يحاول تجاوزها.

### وصف البيئة البدوية :

لا يرسم القاص تفاصيل البيئة البدوية كما هي ، بل يعمد إلى شعرنة الصور المعبرة عنها لينفث الوصف إحياءات مجازية دلالية نفسية وفكرية لاتنفصم في جذور تشكلها عن تلك التفاصيل الجغرافية والطقسية التي تسهم - من دون شك - في تكوين رؤية الشخصيات لهذا المحيط البدوي .

ونقرأ مثلا على ذلك المقدمة الوصفية لقصة (الخبرا) :

(بينما كان الجذب يصادر عطاء الفصول ويدهام الصبر المتخندق في العرين على امتدادات الصحراء المتتأبئة الأرجاء وكان الربيع المتأهل للرحيل الكوني يستحذي الالق الخديج هودت الطبيعة من ذروة صلفها مثل أب جاد يرخي زمام حزمه ، وأنشأت سحابة غيث ثرة ، ظلمت خيبا فوق جارود القفر الليباب ، تنفل الخير والحياة .... وكانت (الخبرا) حيالهم تلامس الأفق في سكون أسر مثل انسياب شفيف من صفو السماء يراق بأناة على

الأرض ، فيما كانت الكثبان الموحشة المتناثرة على جنباتها بعثية فجة ، تزم شفاهها الغليظة (٣٠).

فالقاص في مثل هذا الوصف المشعرن (يدخل الطبيعة في حسابه عاملا مؤثرا في الحوادث والشخصيات ، فيصطنعها للكشف عن عواطفه الشخصية أو أحاسيسها الداخلية تجاه موقف من المواقف ، فيكون المنظر الطبيعي حلقة في سلسلة تطور الشخصية ، أو باعثا من البواعث التي تشكل نفسياتها) (٣١).

### المرجعية البدوية لوصف الشخصية القصصية :

أما وصف الملامح البدوية لشخصية البدوي فان القاص يعمد إلى التركيز على المميز معنويا من بدوية تلك الملامح ، وكما في قوله مثلا : (ماجد الحثري كان شابا سمح المعشر ، عشق طرق الدو وحيدا يصحبه صقره (غشام) حيث يستهويه القنص ، وقد أكسبته هوايته دراية مستفيضة بمجاهل الصحراء لا يجاربه فيها احد ، حتى فاق كبار الأدلاء في القبيلة ، وعد خارطة الأرض والسماء ، يسأل عن البروج وحساب الأيام مثلما يسأل عن المكان الذي توطأته سحابة ما شهد التعالج بروقها البعيدة) (٣٢).

وقد يكون الوصف الخارجي وسيلة لرسم بداوتها كما في قوله : (كان مفوز مقبلا نحوه محتضنا راوية من جلد بعير تنثر الماء من خرازها المعطوبة ، وكانت أثوابه المبتللة المحشوة في حزامه تكشف عن ساقين عاريتين حتى الركبتين) (٣٣).

وأحيانا يلجا القاص إلى وصف داخلي لأعماق الشخصية البدوية راسما تموجاتها النفسية المحتمدة بين صراع القيم البدوية المهيمنة في مجتمع الصحراء ، وكما يفعل في وصفه لشخصية ماجد الحثري حين يعجز عن الانتقام على الرغم من شجاعته : (يتهادى وسط موج أحزانه المتلاطمة ، أمام صقره المبرقع . ما أشبهه بالأسير الساكن حفرة القهر المعمر . فضاؤه أضيق من حفرتة . . حزنه أصلب من أغلاله . . وهو اثر هوانا منه . . ألمه أفسى . . فلينتزع البرقع ويطلق صقره . . وليبدل فضاءه الخانق . . وليحطم أغلاله . . يجلي همه . . يتنفس الصعداء . . وليستعجل الغد ففي الغد ستكون الصولة) (٣٤).

### قصة (البكارة) نموذجاً للمرجعية البدوية :

إن هذه المجموعة القصصية تزخر بالعديد من الإحالات الفنية على المرجعيات البدوية ، وكي تكون على مقربة نقدية أكثر من هذه الظاهرة سنتناول بالقراءة النقدية المفصلة انموذجاً خاصاً من هذه المجموعة، متمثلاً بقصة (البكارة)<sup>(٣٥)</sup>.

يمهد القاص لسرد حكايته برسم خلفية رمزية لأحداثها وشخصها ،مستعينا بجزء صغير ومهمش من فضاء اللوحة البدوية الواسعة ،تتشكل مفردات تلك الخلفية من ما هو مهمل في ذلك الفضاء ، سواء كان من بقايا الأشياء المهملة (قشرة بيض كالحة/ريشة قاربت التحجر/عظم بعير) أو من الحشرات الصغيرة المهمشة (خنفساء /ديدان/حشرة صغيرة) أو من النباتات(شجرة مينة/نبته ذات أوراق خضر عريضة يتوسطها نتوء متطول) وهذه هي التفاصيل المهمة للوحة التي لايمكن إدراك مغزاها إلا بالنظر إليها كاملة عبر وصف القاص :

(قشرة بيض كالحة،لطائرها،مزاحة فوق صفحة الرمل،وريشة قاربت التحجر ملتصقة بها خنفساء دارت عشرات المرات حول نقطة انطلاقها قبل أن تهتدي إلى مسار أخرجها من المتاهة .ديدان انغرزت ثقوبا عمودية التجايف في جسد الرمل اللدن ، ثم توارت،وأخرى تركت أخاديد متباينة الغور أخلت به شكلا مخروطيا رسمته العاصفة بتدرج رتيب ، وتوشحت به شجيرة مينة. عظم بعير يحكي ثلثه الصاعد فوق الرمل عنفوان تصديه للعاصفة،وحشرة صغيرة في محاولة دؤوبة لتسلق سنده المتكور، لم تسعفا ضآلتها من التدرج إلى الحضيض،كلما انهال الرمل المنهدم من تحت أرجلها الدقيقة التي لا تكاد ترى ،نبته ذات أوراق

خضر عريضة يتوسطها نتوء متطول ،حشرة صغيرة بلون البنفسج استتارت على أبعاد متساوية من تقعر هلال الكثيب)<sup>(٣٦)</sup>.

هذه اللوحة المهملة المهمشة التفاصيل في ذلك الفضاء الصحراوي البدوي الشاسع هي معادل رمزي لمكونات (شخصيات) اللوحة الرئيسية في الفضاء نفسه .وعلى سبيل المثال فان علامة بدوية مهمة في متن الصحراء مثل البعير لم يبق من أثره الزائل سوى عظم هامشي صغير(يحكي ثلثه الصاعد فوق الرمل ) ماتبقى له من حضور معنوي ثري

يتعلق مثلا ( بعنفوان تصديه للعاصفة ) مما يذكر القارىء رمزيا بأحد أبطال المتن الصحراوي في القصة ونعني به الجد (معيوف ) الذي اشتهر بأمجاد عريقة شكلت علامته المميزة في الصحراء وبقيت دلالاتها حاضرة في ذهن القبيلة والأحفاد حتى اليوم على الرغم من غيابه ،مثلما بقي ثلث عظم يحكي دلالات مجد ذلك البعير .

وكذلك الحال مع الديدان التي تتوارى سريعا في اللوحة السابقة بوصفها معادلا رمزيا للكثيرين ممن يحيطون بحفيدة ذلك الجد البارز من رفيقات وشباب ممن ( يعرجون لملاطفتها إكراما لأبيها)<sup>(٣٧)</sup> لكن من دون جدوى فهي( تختزل اللقاء بكلمات مقتضبة ماتفتأ أن تضمّر إلى حروف مدغمة ، وتستحيل صنما تدب فيه الحركة حال ابتعاد الدخيل عن عالمها الوردي )<sup>(٣٨)</sup> وتواريه بعيدا عنها وكما تفعل تلك الديدان التي تتوارى سريعا أو تكتفي بترك أخاديد متباينة توشحت بها شجرة ميتة ، وهذه الشجرة ربما هي أيضا معادل رمزي للحفيدة نفسها ، بوصفها صنما ميتالا أثر فيه للتفاعل مع الآخرين (الديدان ) ولاشك في أن البعد الجنسي الذكوري الرمزي مائل أيضا في النبتة ذات الأوراق الخضراء وتفصيلها التي تسببت في إيذاء الحفيدة وخدش بكارتها .

انه ليس وصفا نقليا علميا يجسد مظاهر البيئة كما تبدو للحواس ،تقوم فضيلته على صحة التشابيه ودقتها ،بل هو وصف وجداني يتخطى فيه المبدع حدود تلك المظاهر وينيط بها دلالات جديدة هي امتداد من دلالاتها العامة أو تأويل لها ، وهنا تغدو المظاهر إلى أن تكون اقرب إلى الرمز أو تغطية لمعاني مخبوءة ، فالمبدع يتحول من المظاهر المحسوسة الى ماوراءها أو ماحولها محاولا أن يستطلع منها أو أن يفسرها ، وهكذا فان المشهد الوصفي ينتقل من حواس المبدع الى المبدع نفسه إلى ضميره بصورة إنسانية حية ، تتحد بها أو تتحل فيه وتتخذ منه وجودا أو مفهوما جديدا<sup>(٣٩)</sup>.

ومن خلال تفعيل المتلقي للتداخل والتحاوور بين مكونات اللوحيتين (المهمشة والرئيسة ) تتجلى أمامه رؤيا القاص لذلك العالم الصحراوي بوصفه عالما تسود فيه القسوة ، ويحركه الصراع من أجل البقاء المعنوي أكثر من المادي بين مكوناته الأخذة بالزوال ماديا.

ومن خلال الوصف النفسي والاجتماعي لشخصية الحفيدة البدوية يشخص القاص الأسباب المهمة التي أدت إلى بلورة شخصية تقع في مثل ذلك الخطأ العفوي فقد (أبتليت بطفولة قلقة تشوبها تعللات الدلال وعجاريه ، انحسر من حولها من يشاطرها الجري وراء اليرابيع حد اللهاث.... فانزوت مع عالم الجمادات ..... وغالبا ماتشاهد منقصمة عن لمات النساء الدودية ..... و منذ ان حلت ضيفة وديعة على عالم المراهقة النزق لم تقطن إلى عوالم نضوجها....وبعض الحاطبات لاينسها (٤٠).

إن أمجاد عائلتها لاسيما ما يتعلق بوالدها وجدها ،طوقتها بهالة من السمو والتفرد مما زرع في نفوس الآخرين في البادية إحساسا بالعجز عن الوصول إلى دواخلها أو التفاعل الاجتماعي والعاطفي معها ،فضلا عن ذلك هناك طوق الدلال الذي أحيطت به بوصفها البنت الوحيدة والجميلة من ثلاث زيجات ، وهذان العاملان أسهما أيضا في تشديد عزلة الحفيدة عن قرباناتها من البنات ، مما أدى إلى نقص في خبراتها عن الأنوثة وأسرارها ومحاذيرها ،وأوقعها في خطأ غير مقصود نتيجة حادث غير جنسي بفعل تلك النبتة ،مما أفقدها بكارتها التي تمثل قيمة عليا في المجتمع البدوي ،وشوه الصورة العريضة النقية لتلك الأمجاد العريقة الخاصة بعائلتها .لكن هذا التشويه سرعان ما زال وانمحي بفضل فراسة الأب في قيافة الأثر وتأويل دلالاته ، ومن ثم التوصل إلى الأسباب الحقيقية لذلك الحادث .

ويبدو الراوي البدوي حياديا في سرد تلك الحكاية ، لكن دلالات وصفه لشخصية البنت تشي ضمنا بنقد ساخر للتسطيح الذي تتعرض له خبرات المرأة وثقافتها لاسيما الجنسية في تلك البيئة المعروفة بنقاليدها المحافظة وأعرافها الصارمة ، التي تهيمن عليها سطوة القوة الذكورية ، وهذا مايقودنا مرة أخرى إلى التأكيد على أن الوجه الآخر من الراوي كان يروى بصوت القاص فارس الغلب المتمدن والمتوارى خلف قناع البدوي .

وفي ختام هذا البحث يتبين لنا أن القاص فارس الغلب قد وضع له بصمة قصصية خاصة به في إطار الجيل القصصي المعاصر في الموصل ،وهذه البصمة أخذت امتيازها الأول من الالتفات إلى فضاء جديد على القصة القصيرة الموصلية ،والعراقية أيضا ،ذلك هو فضاء البادية بكل ما فيه من عناصر مادية ومعنوية حولها القاص إلى مرجعيات يفيد

منها في بناء قصصه بعد أن أدخلها في مختبره القصصي وأعاد تشكيلها بما ينسجم والرؤية الفنية المزدوجة (البدوية والمتحضرة) التي يحملها بوعي عميق، وإدراك لما يمكن أن ينتج عنها من صراعات داخلية، لم تصب القاص بالفوضى على الرغم من حدتها، لأنه تعامل معها بتأن وبتأمل، خرج منه بهذه القصص التي شعرنت البادية وأعدت إليها الاعتبار والألق بوصفها موضوعا لايزال يجذب الأدب إليه، على الرغم من قدمه وماضيه العريق في متون النصوص النثرية والشعرية العربية القديمة.

### هوامش البحث:

١- علم اللغة العام: فردينان دي سوسور / ت: د. يوثيل يوسف عزيز / مراجعة: د: مالك يوسف المطلبي / ٨٤-٨٥ .

\* البداوة هي ذلك النمط من المجتمعات البدائية المحلية التي تحيا في العصر الحاضر حياة تقليدية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية وتعدد وظائفها وتمثل حالة حضارية أقل تقدما لو قورنت بحالات حضارية أخرى متقدمة سواء كانت سالفة أو معاصرة. ينظر: دراسة علم الاجتماع البدوي: د.صلاح الفوال / ٢٨٢ .

أما البادية فهي الصحراء، ومن ينتسب إليها فهو بدوي والإطار العام الذي يشمل الإقامة في الصحراء والتعود على العيش فيها هو البداوة، وعلى هذا يكون البدوي هو ساكن الصحراء أو البيداء. ينظر: تنمية المجتمعات الصحراوية: د.صلاح مصطفى الفوال / ١١٠ .

\* فارس الغلب قاص ولد في بادية الجزيرة / محافظة نينوى عام ١٩٥٢، حاصل على شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد، له مجموعة قصصية أخرى بعنوان (مصطبة لزوارق الوداع). مقابلة مع الشاعر بتاريخ ١٤-٣-٢٠٠٨ في مقر اتحاد الأدباء/ فرع نينوى.

٢- مفهوم المرجعية واشكالية التأويل في الخطاب الأدبي: د. محمد خرماش / الموقف الثقافي (العراق) / ٩ / ١٩٩٧ / ٣٥ .

٣- قراءة في قصيدة حياة (نقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة للشاعر علي الشرقاوي): علوي الهاشمي / ٣١ . ٤- ( الخربشة إفساد العمل والكتاب ونحوه) ينظر لسان العرب: ابن منظور، مجلد ٦ / ٢٩٥ .

- ٥- خربشات سعيد بن هـالـج :فارس الغلب / ١١١ .
- ٦- عالم البدو:مجموعة مؤلفين / من دراسة (النظام الاجتماعي عند البدو الرحل في اسيا):غيناـي ماركوف/٨٠ .
- ٧-خربشات سعيد بن هـالـج /١١٣ .
- ٨- م . ن/١١٣ .
- ٩-ينظر النقد التطبيقي التحليلي :د.عدنان خالد عبدالله/٧٣ .
- ١٠- خربشات سعيد بن هـالـج /١١٧ .
- ١١- م . ن/١١٧ .
- ١٢- م . ن/٥١ .
- ١٣- م . ن/٥٥ - ٥٦ .
- ١٤ - محاضرات في تاريخ العرب :د.صالح احمد العلي /١٥٣ .
- ١٥- خربشات سعيد بن هـالـج /٢٣ .
- ١٦- م . ن/٢٥ .
- ١٧- م . ن/٢٦ .
- ١٨- م . ن/٣٧ .
- ١٩- م . ن/٣٨ .
- ٢٠- م . ن/٤١ .
- ٢١- م . ن/٩٦ .
- ٢٢- م . ن/٤٩ .
- ٢٣- م . ن/١٣ .
- ٢٤- ينظر:دراسة علم الاجتماع البدوي /٣٠٩ .
- ٢٥- خربشات سعيد بن هـالـج /٦ .
- ٢٦- م . ن/٣٥ .

- ٢٧ - م.ن/٤٥ .
- ٢٨ - م.ن/٤٨ .
- ٢٩- ينظر : الرواية العراقية وقضية الريف :باقر جواد الزجاجي /٩٩ .
- ٣٠ - خربشات سعيد بن هدالج /٢١ .
- ٣١ - فن القصة : محمد يوسف نجم / ١١١ .
- ٣٢ - خربشات سعيد بن هدالج /٢٣ .
- ٣٣ - م.ن/٢٨ .
- ٣٤ - م.ن/٢٦ .
- ٣٥ - م.ن/٧ .
- ٣٦ - م.ن/٩ .
- ٣٧ -- م.ن/١٢ .
- ٣٨ - م.ن/١٢ .
- ٣٩ - ينظر : فن الوصف وتطوره في الشعر العربي : إيليا حاوي /١١ .
- ٤٠- خربشات سعيد بن هدالج/١٢-١٣ .

#### قائمة المصادر والمراجع

##### الكتب :

- ١- تنمية المجتمعات الصحراوية :صلاح الفوال ،مكتبة القاهرة الحديثة ،القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٨.
- ٢- خربشات سعيد بن هدالج :فارس الغلب ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ط١ ، ٢٠٠٣.
- ٣- دراسة علم الاجتماع البدوي :د.صلاح الفوال ،مكتبة غريب ،مصر ، ط ١ ، ١٩٨٣ .
- ٤- الرواية العراقية وقضية الريف :باقر جواد الزجاجي ،دار الرشيد للنشر ،بغداد، ط١ ، ١٩٨٠.
- ٥- علم اللغة العام : فردينان دي سوسور، / ت : د. د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة : د: مالك يوسف المطليبي ،دار الكتب للطباعة والمنشر - جامعة الموصل، د-ط ، ١٩٨٨ .
- ٦- فن القصة : د.محمد يوسف نجم ،دار الثقافة - بيروت ، د-ط ، د-ت .
- ٧- فن الوصف وتطوره في الشعر الجديد : إيليا حاوي ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، د-ط ، ١٩٨٠ .

- ٨- قراءة في قصيدة حياة (تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة للشاعر علي الشرقاوي): علوي الهاشمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ .
- ٩- لسان العرب : ابن منظور ،دار صادر، بيروت،مجلد ٦، ط٣، ١٩٩٤ .
- ١٠- محاضرات في تاريخ العرب :صالح أحمد العلي ،مطبعة الإرشاد ،بغداد ، ط ٤ ، ١٩٨٦ .
- ١١- النقد التطبيقي التحليلي :د.عدنان خالد عبدالله ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٦ .

#### الدوريات:

- مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل في الخطاب الادبي : د. محمد خرماش / الموقف الثقافي (العراق) / ٩ / ١٩٩٧ / ٣٥ .

#### المقابلات الشخصية:

- مقابلة مع القاص بتاريخ ١٤-٣-٢٠٠٨ في مقر اتحاد الأدباء/ فرع نينوى .